﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذَكرتِ الآياتُ السّابقةُ اللَّيلَ والنّهارَ والشّمسَ والقمرَ باعتبارِها آياتٍ كونيّةً؛ ناسبَ الانتقالُ في هذهِ الآيةِ إلَى بيانِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْياءِ المَذْكورَةِ خُلِقَ عَلَى وفْقِ الحِكْمَةِ فقالَ تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾[1]، ولمّا تقرَّرَ أنَّ لكلٍّ منهُما مَنازلَ لا يَعدوها، فلا يَغلِبُ ما هو آيتُهُ ما هو آيةَ الآخَرِ؛ بل إذا جاءَ سُلطانُ هذا ذهَبَ ذاكَ، وإذا جاءَ ذاكَ ذهَبَ هذا، فإذا اجتمَعا قامَتِ السّاعةُ، تَحرَّرَ أنَّ نتيجةَ هذهِ القضايا قولُه: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُدۡرِكَ﴾: أَصْلُ (درك) من الدَّرَك، وهو التَّبِعةُ، يُسَكَّنُ ويُحَرَّكُ[3]، وهو لُحوقُ الشَّيءِ بالشَّيءِ ووُصولُهُ إلَيْهِ[4]، والدِّراك: إتْباعُ الشَّيءِ بعضِه على بعضٍ في كلِّ شيءٍ[5]، يُقالُ: أدركتُ الرَّجُلَ إدراكًا إذا لحِقتَه، فَهوَ مُدْرَك[6]، وتَدارَكَ القَوْمُ لَحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ[7]، ومِمّا سَبق نخلُصُ إلى أنَّ المُرادَ بالإدراكِ في الآيةِ: هو اللَّحاقُ والوصولُ إلى البُغيةِ، والمَقصودُ: نَفيُ انبغاءِ إدراكِ الشَّمْسِ القَمَرَ؛ أيْ: لا يَدخُلُ النَّهارُ على اللَّيلِ قَبلَ انقضائِه، ولا يَدخُلُ اللَّيلُ على النَّهارِ قبلَ انقضائِه[8].

2) ﴿فَلَكٖ﴾: (فلك) أصلٌ يدلُّ على استِدارَةٍ في شَيءٍ، مِنْ ذلكَ: فَلْكَةُ المِغْزَلِ بِفَتْحِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 278.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 132.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (درك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درك).
(5) الخليل، العين: (درك).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (درك).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درك)، والمناويّ، التّوقيف على مُهمّات التّعاريف، ص: 159.
(8) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 514، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 24.

الفاءِ، سُمِّيَتْ لاستدارَتِها[1]، وفَلَكُ كُلِّ شَيْءٍ: مُستدارُهُ ومُعْظَمُه، وفَلَكُ البَحْرِ: مَوْجُه المستديرُ المتردِّدُ[2]، ومِنْ هذا القياسِ فَلَكُ السَّماءِ: مَجرى الكواكبِ[3]، والمَقصودُ بالفَلَكِ في الآيةِ: الدّائرةُ المَفروضةُ في الخلاءِ الجوّيِّ لسيرِ أَحَدِ الكواكبِ سَيرًا مُطَّرِدًا لا يَحيدُ عنه[4].

3) ﴿يَسْبَحُونَ﴾: (سبح) أصلٌ يدلُّ على جِنْسٍ من السَّعْيِ[5]، السَّبْح مصدرٌ كالسِّباحة، سَبحَ السّابحُ في الماء، والنُّجوم تَسْبَحُ في الفَلَك: تَجري في دَوَرانه[6]، ومنه قَولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣﴾ [النّازعات: 3]؛ أيْ: تَذهَبُ فيها بَسْطًا كما يَسبَحُ السّابحُ في الماء سَبْحًا، والسَّبْحُ لا يَختَصُّ بالجَري في الماءِ، فقد يُقالُ للفرَسِ الَّذي يمُدُّ يديهِ في الجَري: سابحٌ، وعليه فالسَّبْحُ في الآيةِ مُستعارٌ للسَّيرِ في مُتَّسَعٍ لا طرائقَ فيه مُتلاقيةً كطرائقِ الأرضِ، وهو تقريبٌ لِسَيْرِ الكواكبِ في الفضاءِ العظيم[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّه لا يَصِحُّ ولا يَتأتَّى للشَّمسِ أنْ تُدرِكَ القَمَرَ في مَسيرِه، فتجتَمِعَ معَهُ باللَّيلِ، وكذلكَ لا يَصِحُّ ولا يَتأتَّى للَّيلِ أنْ يَسبِقَ النَّهارَ، فيُزاحِمَه في مَحلِّه أو وقتِه، وإنَّما كُلُّ واحدٍ مِن الشَّمسِ والقَمَرِ واللَّيلِ والنَّهارِ يَدورُ في فَلَكِ السَّماءِ فيَسيرُ في هذا الكَونِ بنِظامٍ بَديعٍ[8].

الشَّمسُ والقمرُ يتعاقبانِ لا يفترقانِ بنظامٍ دقيقٍ وزمانٍ مُحدَّدٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (فلك).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (فلك).
(3) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ: (فلك).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 25.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبح).
(6) الخليل، العين، وابن عبّاد، المُحيط في اللّغة: (سبح).
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 61.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 438، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 578، 579.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ إيلادِ حرفِ النّفي المُسنَدَ إليه:

تسليطُ النّفي على الشّمسِ لبيانِ انتفاءِ إدراكِها انتفاءً مُطلَقًا

قُدِّم ذِكْرُ حرفِ النَّفي على المُسنَدِ إليهِ في قولِه تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾، وكان الظّاهرُ أن يُقالَ: لا ينبغي للشّمسِ أن تُدرِكَ القمرَ، لكنَّه عدَلَ عنه إلى إيلاءِ النّفي الاسمَ دونَ الفِعلِ، وفائدتُه تقريرُ النّفي في ذِهنِ السّامعِ، لتوجُّهِ النّفي إلى الشّمسِ وما أُسنِدَ إليها، وإن كان المَقصودُ الأوّلُ تَوجُّهَ النّفي إلى الفعلِ ﴿يَنۢبَغِى﴾، وليدُلَّ الكلامُ على أنَّ الشّمسَ مُسخَّرةٌ لا يَتيسَّرُ لها إلّا ما أُريدَ بها[1]، ووجهُ الدَّلالةِ أنَّ حرفَ النّفي لمّا دخلَ على الشّمسِ نفسِها مع أنَّ النّفيَ مُتوجِّهٌ إلى الفعلِ الَّذي بعدَه لا بدَّ له من نكتةٍ، وهي التّنبيهُ على أنَّ ذاتَ الشّمسِ لا يَصدُرُ عنها شيءٌ بالاختيارِ، لِتَوجُّهِ النّفي إليها؛ فهي في حُكمِ المَعدومِ، وما هذا شأنُه فلا يَصدُرُ عنه شيءٌ بالاختيارِ، فما يَصدُرُ عنها من عَدمِ إدراكِها القمرَ بإرادةِ اللّهِ تعالى، ولو قيلَ: (لا ينبغي للشّمسِ أن تُدرِكَ القمَرَ)؛ لكانَ النّفيُ مُتوجِّهًا إلى الفعلِ، وحينئذٍ لم يُفهَمْ منه كونُ الشّمسِ في حُكمِ المَعدومِ، فلا يدُلُّ على كونِها مُسخَّرةً[2].

فائدةُ النّفي بحرفِ ﴿لَا﴾:

يُفيدُ التّعبيرُ بـ﴿لَا﴾ استمرارَ النّفي وعدَمَ انقطاعِه بدَلالةِ السّياقِ؛ أي: استغراقَهُ لكلِّ الأزمانِ إلى وقتِ قيامِ السّاعةِ.

نكتةُ استعمالِ فعلِ ﴿يَنۢبَغِى﴾:

نفيُ إدراكِ الشّمسِ للقمرِ نفيٌ للفعلِ ولتصوُّرِ حُصولِه

استعملَ النّظمُ الكريمُ الفعلَ ﴿يَنۢبَغِى﴾، وهو مُطاوِعُ فعَلِ (بغى) الَّذي هو بمعنى (طَلَبَ) تَجاوَزَ الاقتصادَ فيما يَتحرّى[3]، فأفاد نفيَ الانبغاء نفيُ تأتّيه، بمعنى أنَّه لا يصلُحُ لها أن تُدرِكَ القمَرَ ولا

(1) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 269.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 146.
(3) الراغب، المفردات: (بغي).

يتَسخّرُ لها ولا يَستقيمُ، لأنَّه إن أدركَتِ القمرَ كانت متجاوِزةً الحدَّ الذي ليس لها في جَريِها، ولأفادَ أنَّه تعالى خلَق الشّمسَ والقمرَ على صفةٍ يستحيل إدراكُ الشّمسِ القمرَ واجتماعُهما ما بقيَتِ الدُّنيا، فإذا انقضى العالَمُ وقامتِ القيامةُ جُمِعَ الشّمسُ والقمرُ، فالنفيُ هو نفيٌ للفعلِ ولتصوُّرِ مِثلِ هذا الفعلِ أن يَصدُرَ عنها.

نكتةُ التّعبيرِ بنفيِ الانبغاءِ دونَ انبغاءِ النّفيِ:

نـفـيُ الانـبـغـاءِ يُفيدُ نفيَ الإمكانِ والحُصولِ

لمّا كانَ هناك فرقٌ بينَ أن يُقالَ: (ينبغي ألّا تَفعَلَ) و(لا ينبغي أن تفعلَ) لدلالةِ الأوّلِ على إثباتِ الانبِغاءِ فلا يقتضي وجوبًا، بمعنى أنَّه يَحتَمِلُ أن يكونَ على سبيلِ الوُجوبِ أو على سبيلِ الأصلَحِ والأحسَنِ، ولدَلالةِ الثّاني على نفيِ الانبغاءِ الَّذي يُفيدُ نفيَ إمكانِه وحُصولِه، كُنّيَ بالأُسلوبِ الثّاني على المَحظورِ الَّذي لا يستقيمُ فعلُه أو لا يُمكِنُ حُصولُه، ولهذا قالَ تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ دونَ أن يُقالَ: (الشّمسُ ينبغي لَها ألّا تُدرِكَ القمرَ)؛ لأنَّه سيكونُ بمعنى الأفضلِ والأحسَنِ والأسلَمِ ممّا يُفيدُ صحَّة الوقوعِ ولكن معَ مَرجوحيَّتِه، وهذا يُخالِفُ الواقِعَ الكونيَّ، وممّا يجري في هذا البابِ قولُه تعالَى فيما يتعلَّقُ بالتّوحيدِ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان: 18] وقال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: 92]، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: 69][1].

فائدةُ اللّامِ في ﴿لَهَآ﴾:

تُفيدُ اللّامُ في قولِه تعالَى: ﴿يَنۢبَغِي لَهَآ﴾ معنى الاختصاصِ؛ بمعنى أنَّ نفيَ انبغاءِ إدراكِ الشّمسِ القمرَ ثابتٌ لها لا ينفكُّ عنها بحالٍ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 24.

نكتةُ تقديمِ المُسنَدِ إليهِ على المُسنَدِ الفِعليّ:

تـقـويـةُ حُـكـمِ الإسـنـاد تُـقَـوّي المـعـنـى المُـرادَ تحقيقُه

قُدِّم ذِكْرُ المُسنَدِ إليه في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾، وجاءَ المُسنَدُ جملةً فعليَّةً، لتقويةِ حُكمِ النّفي وتحقيقِه، فَذَلِكَ أَبْلَغُ في الانْتِفاءِ والامتناعِ مِمّا لَوْ قيلَ: (لا يَنْبَغي لِلشَّمْسِ أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ)[1].

نكتةُ استعمالِ مُفرَدةِ الإدراكِ:

نفيُ إدراكِ بلوغِ الشّمسِ للقمرِ نـفـيٌ لـلـعـكـسِ كذلك

لمّا كان الإدراكُ بمعنى اللَّحاقِ والوصولِ إلى البُغيةِ، وكان المصدرُ المُؤوّل ﴿أَن تُدۡرِكَ﴾ فاعلَ ﴿يَنۢبَغِي﴾، أفاد الكلامُ نَفيَ انْبِغاءِ إدْراكِ الشَّمْسِ القَمَرَ، والمَعْنَى: نَفْيُ أَنْ تَصْطَدِمَ الشَّمْسُ بِالقَمَرِ، خِلافًا لِما يَبْدو مِنْ قُرْبِ مَنازِلِهما، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ المُسامَتَةِ لا مِنَ الاقْتِرابِ[2].

نكتةُ التّعبيرِ بالمصدرِ المُؤوَّلِ ﴿أَن تُدۡرِكَ﴾:

نـفـيُ إدراكِ الشّمسِ للقمرِ مُستمِرٌّ إلى قيامِ السّاعةِ

جاء التَّعبيرُ بالمصدرِ المُؤوّل في قوله تعالى: ﴿أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ للإشعارِ بأنَّ المُرادَ نفيُ الإدراكِ على أيِّ وجهٍ كان دونَ تقييدٍ بأيِّ وصفٍ للشّمسِ أو للقمرِ، ولتبيانِ أنَّ الإدراكَ مُستمِرٌّ إلى قيامِ السّاعةِ، ولأنَّه تعالى هو الَّذي سخّرَها لِأنْ تَجريَ لِمُستقَرٍّ لها، ولو قيلَ: (لا الشّمسُ ينبغي لها إدراكُ القمرِ)، لكانَ الكلامُ يَحتَمِلُ وصفًا للمصدرِ الصّريحِ، ولكنَّه محذوفٌ، فيبقَى المُخاطَبُ مُتوهِّمًا تقييدَ نفيِ الإدراكِ بوصفٍ ما، لَمجيئِه بصيغةِ المَصدرِ الصّريحِ، والمَقصودُ نفيُ تقييدِ المَصدرِ مُطلَقًا، ولهذا جاءَ بصيغةِ المصدرِ المُؤوَّلِ.

توجيهُ نفيِ إدراكِ الشّمسِ للقمرِ دونَ عكسِه:

مـا كـان أبـطَـأَ نُفيَ عنه إدراكُ الأسرعِ

لسائلٍ أن يسألَ عن سِرِّ نفيِ اللّهِ تعالى إدراكَ الشّمسِ للقمَرِ، دونَ أن يُقالَ: (لا القمرُ ينبغي أن يُدرِكَ الشّمسَ)؟ والجوابُ: هو أنَّ سَيرَ القضمرِ أسرَعُ بالنِّسبةِ إلى قَطعِ فَلَكِه؛ لأنَّه يَقطَعُ فَلَكَه في

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 24.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 24.

شَهرٍ، والشّمسُ لا تَقطَعُ فَلَكَها إلّا في سنةٍ، فكانت جديرةً بأن توصَفَ بنفي الإدراكِ لبُطءِ سَيرِها في قَطعِ فَلَكِها[1].

فائدةُ تَكرارِ (لا) في الآية:

استقلالُ الجُملِ بالنّفي تَعدادٌ للمعاني المُستقِلّةِ

لمّا تكرّرتْ (لا) في قولِه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾؛ أفادتِ اختلافَ المَوضوعَيْنِ، فيكونُ قولُه تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ آيةً، وقولُه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ آيةً أخرى، فأفادَ تَكرارُ (لا) تعدُّدَ الآياتِ وتقريرَ النّفيِ في نُفوسِ المُخاطَبينَ والمُبالغةَ فيه.

بلاغةُ الإيجازِ بينَ الاحتباكِ والاكتفاءِ:

اجتماعُ توجيهاتِ فنونِ البديعِ في النّظمِ البديعِ من براعةِ الإيجازِ

في قولِه تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ إيجازٌ بديعٌ، وهو إمّا من بابِ الاحتباكِ أو الاكتفاءِ، وبيانُه أنَّه لمّا قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ نفَى ضِمنًا إدراكَ النّهارِ للَّيلِ، ولمّا قال: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ نفَى ضِمنًا إدراكَ القمرِ للشّمسِ، للتّلازُمِ بينَ الشّمسِ والنّهارِ، وبينَ القَمرِ واللّيلِ؛ أيْ: ذَكَرَ أوّلًا النّهارَ بدليلِ الشّمسِ عليه، وحَذَفَ (وَلا القَمَرُ ينبغي له أن يُدْرِكَ الشَّمْسَ)، وذَكَرَ ثانيًا القمرَ بدليلِ اللّيلِ عليه، وحَذفَ (وَلا النَّهارُ سابِقُ اللَّيْلِ)، فكان في الجُملةِ الأولى دليلٌ على ما حُذِفَ في الثّانيةِ، وفي الجملةِ الثّانيةِ دليلٌ على ما حُذِفَ في الجُملةِ الأولى[2].

وإمّا أن يكونَ مِن الاكتفاءِ[3]، فيكونَ إيجازًا بحذفِ جُزءٍ مِن المُتلازِمَيْنِ في الكلامِ، لدَلالةِ السّياقِ عليه، لأنَّه لمّا قال: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ أفادَ أنَّ الكلامَ بتقديرِ: (وَلا القَمَرُ يُدْرِكُ الشَّمْسَ)، لترابطِهما وتلازُمِهما في الواقعِ، فاكتُفيَ بذِكرِ الشّمسِ

(1) الأنصاريّ، فتح الرحمن: 1/ 472.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 132.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 24.

لقوّتها وسُرعتِها في مَدارِها، ولمّا قال: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ كان الكلامُ بتقديرِ (وَلا النَّهارُ سابِقُ اللَّيْلِ)، فاكتُفي بذِكْرِ اللَّيلِ.

نكتةُ استعمالِ لفظِ الإدراكِ مع الشّمسِ والسّبقِ مع اللّيلِ:

دقّـةُ اختـيـارِ اللَّفظِ في التّعبيرِ عـن الإشـارةِ العلميَّةِ

ذكرتِ الآيةُ مع الشّمسِ فعلَ الإدراكِ المنفيِّ عنها في قولِه تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾، لنفيِ وقوعِ ذلك في المُستقبَلِ، ولنفيِ تصوُّرِ مِثلِ ذلكَ الأمرِ في الذّهنِ، ونفتِ الآيةُ فعلَ السّبقِ عن الليلِ في المُقابِلِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ دونَ أن يُقالَ: (ولا اللَّيلُ ينبغي أن يُدرِكَ النّهارَ)، للتّنصيصِ على التدبيرِ والحكمةِ على المُعاقَبةِ، فإنَّه مُستفادٌ من الحَركةِ اليوميّةِ الَّتي مدارُ تصرُّفِ كلٍّ منهُما عليها[1]، وذهبَ بعضُ المُفسّرين إلى أنَّ السّببَ في جعلِ الشَّمسِ غيرَ مُدرِكةٍ، والقَمَرِ غيرَ سابقٍ، أنّ الشَّمسَ لا تَقطَعُ فَلَكَها إلّا في سنةٍ، والقمرَ يَقطعُ فَلَكَه في شهرٍ، فكانتِ الشّمسُ جديرةً بأن توصَفَ بالإدراكِ لتَباطُؤِ سَيرِها بالنّظَرِ إلى سَيرِها في فَلَكِها عن سَيرِ القَمَرِ، فكان القمرُ خليقًا بأن يوصَف بالسَّبقِ لسُرعةِ سَيرِه؛ أيْ: باعتبارِ الزّمَنِ الَّذي يُنجِزُه لقَطعِه فَلَكَهَ في شهرٍ[2].

بلاغةُ الكنايةِ ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾:

لمّا أخبَرَ اللّهُ تعالى في قولِه: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ عن سَبْقِ النّهارِ اللَّيلَ أفادَ تعاقُبَهُما، فهو كنايةٌ عن أنَّ اللَّيلَ لا يأتي حتَّى يَذهَبَ النّهارُ، والنّهارَ لا يأتي حتَّى يمضيَ اللَّيلُ.

تعريفُ لفظِ ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و﴿ٱلنَّهَارِۚ﴾:

(أل) في لفظَي ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و﴿ٱلنَّهَارِۚ﴾ للجِنسِ، فالمُرادُ جِنسُ اللَّيلِ وجنسُ النّهارِ، وليسَ ليلًا أو نهارًا مُعيَّنًا.

(1) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 13/ 58، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 21.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 18.

نكتةُ العُدولِ عن الفصلِ إلى الوصلِ:

إقامةُ الجملةِ المعطوفةِ باستقلالِ المعنى وتحقيقِ الانفرادِ

لمّا كانت جُملةُ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ على معنى العُموم والكلّيَّة، كان الظّاهرُ أن تكونَ الجُملةُ على الفصلِ، لتكونَ تذييلًا لِما سبقَها ومِن الضّربِ المُستقلِّ بنفسِه في إفادةِ معنى العُموم والكلّيَّة، لكنَّه عدَلَ عن الفَصلِ إلى العَطفِ ليكونَ قولُه تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ آيةً وعلامةً باهرةً أخرى، بمعنى كَونِ كلِّ كوكبٍ أو نَجم يَسبَحُ في فَلَكِه آيةً عظيمةً أخرى ونِعمةً على الخَلْقِ كُبرَى، كما أنَّ في العدولِ إلى العطفِ تَرجيحًا لجانبِ الإخبارِ بهذه الحَقيقةِ على جانبِ التَّذييلِ، وإلّا فحَقُّ التَّذييلِ الفَصلُ[1].

فائدةُ تنوينِ العِوَضِ في لفظِ (كُلّ):

تنوُّعُ تقديرِ المُضافِ المحذوفِ بينَ العمومِ والخصوصِ

التّنوينُ في لفظِ العموم (كُلّ) عوضٌ عن المُضافِ إليهِ، والتّقديرُ: وكلُّهم[2]، بقرينةِ ضميرِ الجمعِ في ﴿يَسْبَحُونَ﴾ المُقتضي المُطابَقةَ في الجمعِ بين المبتدأِ والخبرِ، والضّميرُ عائدٌ إلى جميعِ الكواكبِ والنُّجوم، ويَدخُلُ فيها الشّمسُ والقمرُ دخولًا أوّليًّا لمَجيئِهما في السّياقِ[3]، فإنَّ ذِكْرَ الشّمسِ والقَمرِ مُشعِرٌ بها، أو يكونُ الضّميرُ عائدًا إلى الشّمسِ والقمرِ فقط، والجَمعُ بتقديرِ المُضافِ بـ(كلُّهم) باعتبارِ التَّكاثُرِ العارضِ لهُما بتكاثُرِ المَطالعِ والمَغاربِ، فنُزِّلَ هذا التّكاثرُ منزلةَ تعدُّدِ أفرادِهما، فإنَّ اختلافَ الأحوالِ يوجِبُ تَعددًا ما في الذّاتِ[4].

فائدةُ العمومِ في لفظِ (كُلٌّ):

كلُّ كوكبٍ وجِرمٍ في السّماءِ في فَلَكِهِ سابحٌ

يُفيدُ لفظُ (كُلٌّ) العمومَ، مع أنَّ المتقدِّمَ ذِكْرُه هو الشّمسُ والقَمَرُ، ومناسَبةُ التّعميمِ إفادةُ الحُكمِ المَذكورِ في قولِه تعالى: ﴿فِي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 25.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 18.

(3) ابن قتيبة، تأويل مُشكل القرآن، ص: 193، والواحديّ، التفسير البسيط: 18/ 487، والكرماني، لباب النّقول، ص: 2355.

(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 269، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 168.

﴿فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ للأرضِ والشّمسِ والقَمرِ وجَميعِ الكواكبِ، وقَرّرَ هذا المعنى اقترانُ الفعلِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بضميرِ الجمعِ الواوِ، والمعنى: جميعُ الكواكبِ والأجرامِ في السّماءِ في فَلَكٍ يَسبَحونَ، وهي حَقيقةٌ عِلميَّةٌ سبَق بها القُرآنُ[1].

معنى حرفِ الظّرفيّةِ ﴿فِي﴾ في الآية:

تُفيدُ ﴿فِي﴾ الظّرفيَّةَ في قوله تعالى: ﴿فِي فَلَكٍ﴾، بمَعنى تمكُّنِ كلِّ كوكبٍ أو نَجمٍ مِن الفَلَكِ الَّذي هو فيه، فلا يزالونَ يَسبَحون في فلَكِهم مُتمكِّنينَ فيه، فالظَّرفيّةُ تُخبِرُ عن ثباتِ النُّجومِ والكواكبِ في أفلاكِها.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِي فَلَكٍ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿فِي فَلَكٍ﴾ على عاملِه ﴿يَسْبَحُونَ﴾ لإفادةِ التّخصيصِ، بمعنى أنَّ سَبْحَ كلِّ كوكبٍ لا يكونُ إلّا في فَلَكِه، ولا يَسبَحُ خارجَ فلَكِه، كما أنَّ في التّقديمِ رعايةً للفاصلةِ ورؤوسِ الآي؛ فأفادَ ذلك أنَّهم لا يَخرُجونَ عن أفلاكِهم، وفيه تعريضٌ بالعُقلاءِ الَّذينَ يَخرُجونَ عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ بإرادتِهم، فكانت تلك الكواكبُ والنُّجومُ خَيرًا مِن أصحابِ العُقولِ الَّذينَ يَختارونَ الانحرافَ عن الوِجهةِ الصّحيحةِ.

التّعريضُ بالعبادِ الَّذين يَخرُجونَ عنِ الصّراطِ المستقيمِ

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿فَلَكٍ﴾:

جاءَ لفظُ ﴿فَلَكٍ﴾ في سياقِ لفظِ العُمومِ (كُلٌّ)، فدلَّ على أنَّ المُرادَ منه اسمُ الجنسِ، وأنَّ كلَّ واحدٍ من الشَّمسِ والقمرِ وغيرِهما من النُّجومِ له فَلَكٌ على حِدَةٍ يَسبَحُ فيه، فإن قيلَ: فكيفَ يكونُ معنى جَميعُهم يَسبَحون في فَلَكٍ؟ والجوابُ أن يُقالَ: هذا كقولِهم: (كساهُمُ الأميرُ حُلّةً وقلَّدَهُم سيفًا)؛ أيْ: كلُّ واحدٍ منهم، أو كَساهُمْ

من بديعِ خلقِ اللهِ أن جعلَ لكلِّ كوكبٍ فَلَكًا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 26.

وقلَّدَهُم هذَيْنِ الجِنسَيْنِ؛ فاكتُفي بلفظٍ يدلُّ على الجِنسِ اختصارًا، ولأنّ الغرَضَ الدّلالةُ على الجنسِ كما يدلُّ عليه السّياقُ[1].

فائدةٌ في بيانِ فنِّ القلبِ المُستوي:

فـنـونُ الـبـديـعِ يُتوقَّفُ فيها على ما فيهِ فائدةٌ أو لطيفةٌ

ذَكَر السُّيوطيُّ أنَّ هناك نوعًا من البديع يُسمّى القلب، والمقلوبَ المُستويَ، وما لا يَستَحيلُ بالانعكاسِ، ثمَّ عرّفَه بقولِه: "وهو أن تُقرَأَ الكلمةُ من آخرِها إلى أوَّلِها كما تُقرَأُ من أوَّلِها إلى آخرِها، كقولِهِ تعالَى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: 3]، ثُمَّ قالَ: ولا ثالثَ لهُما في القُرآنِ[2]، وهذا الفنُّ البديعيُّ لا يَرتَبِطُ به أدنَى معنًى، ولا يُحقِّقُ غرَضًا بيانيًّا، وغايةُ ما فيه تجميعُ أمثلةٍ لأصنافِ البديعِ الَّتي ابتدعَها عُلماؤُه والأدباءُ، وهو غيرُ مقصودٍ في القرآنِ، ولا يَصِحُّ أن يُتكلَّفَ في البحثِ عنه.

براعةُ الاستعارةِ في لفظِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾:

سَيرُ الكواكبِ في الأفلاكِ كحَركةِ السّابحِ في الماءِ

لفظُ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ مُستَعارٌ للسَّيرِ السّريعِ في متَّسَعٍ لا طرائِقَ فيهِ مُتلاقيةً كطرائِقَ الأَرضِ، فشبَّه سيرَ الكواكبِ والأَرضِ والشّمسِ والقمرِ على السّهولة والسّعةِ بمَن يَسبَحُ في البحرِ ويَسيرُ فيه بانبساطٍ وحركةٍ سريعةٍ، ووجهُ الشَّبَه الجريُ المعروفُ في السّباحةِ والدّورانِ وعدَمِ الانغماسِ، ثُمَّ حَذفَ المُشبَّهَ وذَكَرَ لفظَ المُشبَّهِ به على طريقِ الاستعارةِ التّصريحيَّةِ التّبعيَّةِ[3]، وغَرضُ التّشبيهِ راجعٌ إلى المُشبَّهِ، وهو سُرعةُ سَيرِ الكواكبِ في الفضاءِ الواسعِ العظيمِ، وتقريبُها للمُخاطَبينَ وبيانُ أنَّها لا تَنغَمِسُ ولا تَخرُجُ عن مَجالِها وفَلَكِها كحالِ السّابحِ لا ينغَمِسُ في الماءِ ولا يَخرُجُ منه، وعبّرَ بضميرِ الجمعِ الَّذي للعاقلِ (الواو) ترشيحًا للاستعارةِ، فلَم يَقُلْ: كلٌّ في

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 115.
(2) السّيوطيّ، الإتقان: 3/ 318.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 148.

فلكٍ يَسبَحْنَ أو تَسبَحُ؛ لأنَّ السّابِحَ عاقلٌ يدخُلُ في العُقَلاءِ عادةً[1]، وحسَّن مجيءَ الفعلِ مُسنَدًا إلى ضميرِ الجمعِ مراعاةُ الفاصلةِ ورؤوسِ الآيِ، وقد جاءَ التَّشبيهُ في الآيةِ على وجهٍ هو أعرَفُ عندَ المُخاطَبينَ، والقصدُ هو بيانُ طريقةِ جَريِ هذهِ الأشياءِ في الفَلَكِ؛ فجاءَ التّشبيهُ على وجهِه في كونِ المُشبَّه بهِ أبلغَ مِن حَيثُ إنَّه أعرَفُ مِن المُشبَّهِ وأظهَرُ لكونِه محسوسًا[2].

توجيهُ مجيءِ الجمعِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بصيغةِ العُقلاءِ:

يُجمَعُ غيرُ العاقلِ جَمعَ العُقلاءِ عندَ وصفِه بوصفِهم

جاء الفعلُ مُسنَدًا إلى الواوِ الَّتي هي للعاقلِ في قولِه تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ في وصفِ جَريِ الكواكبِ، ونكتةُ ذلك هي أنَّه لمّا ذَكَرَ للكواكبِ أو للشَّمسِ والقمرِ وصفَ العُقلاءِ مِن كونِها تَجري على نظامٍ مُحرَّرٍ مُحكَمٍ لا يختلُّ، وسَيرٍ مُقدَّرٍ لا يَعوَجُّ ولا يَنحَلُّ، ولمّا وصفَها بكونِها تَسبَحُ، وكانتِ السِّباحةُ من أفعالِ الآدميّينَ جمعَها جمعَهُم بقولِه تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾، وأجرَى الخَبرَ عن غَيرِ العاقلِ مجرَى الخبرِ عن العاقلِ، فعُبِّرَ بضميرِ الجمعِ الواوِ، وهذا التّوجيهُ ممّا أجمَعَ عليهِ عُلماءُ اللّغةِ والمعاني، ومِثلُه قولُه تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: 4]، إذ جَمَعَ لَفظَ ساجِدٍ جمعَ العُقَلاءِ في وصفِ الكواكبِ؛ لِأنّ السّجودَ مِن أفعالِ الآدميّينَ[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 439، والزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 391، والنَّحّاس، إعراب القرآن: 3/ 50 الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 69، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 115.

(2) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 439، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 517.

(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 201، وأبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 361، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 439، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 517.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»